البحث رقم (٤)

آيات الشمس في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

التفسير

المدرس الدكتور
بشير حميد عبد
كلية العلوم الإسلامية
جامعة الأنبار
isl.basheerh@uoanbar.edu.iq

ISSN: 2071-6028

ملخص باللغة العربية

م.د. بشير حميد عبد

فمن الواجب على كل مؤمن يخاف الله تعالى ويخشاه، أن يبحث عن الخير ويأتيه، وأن يجتنب الشر ويتقيه، وهذا يتطلب معرفة أبواب الخير وطرقه ومعرفة أبواب الشر ومصادره، ولأهمية هذا الموضوع فقد وقع اختياري عليه، مما حدا بي إلى اختيار هذا الموضوع المهم، وقد اعتمدت في معالجتي لهذا الموضوع على القرآن الكريم دستور الأمة الخالد وصراطها المستقيم الذي لا حيدة لها عنه، ولا مناص لها في نهضتها إلا بالرجوع إليه، فلم نجد أفضل من كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لنستلهم من بحر علومه وعظيم أسراره وبركاته ونتدبر آياته ونشم أريجَ عطرهِ ونسماتهِ، وبعد التوكل على اللهِ تعالى شرعتُ في دراسة هذا العنوان (آيات الشر في القرآن الكريم دراسة موضوعية). وقد بينت مفهوم الشر وتعريفه في اللغة والاصطلاح وبيان حقيقته ونبذة مختصرة عن تاريخ الشر، وذكرت كذلك شرح الألفاظ المرادفة ذات الصلة بمفهوم الشر. فذكرت أنواع الشر، فبينت أنواعه المذكورة في القرآن الكريم مع شرح كل نوع، وبيان أقوال العلماء فيه، وقد ذكرته من خلال تقسيمه على أنواع: الشرور الناتجة من المحسوسات، والشرور الناتجة من غير المحسوسات، والشرور الغيبية، وتكلمت على أسباب الشر وموانعه وجزاءه، وكان اعتمادي في ذلك على الآيات القرآنية وتحليلها وربطها ربطاً موضوعياً اعتمدت فيه على أقوال العلماء والمفسرين وقد بينت رأيي حسب الحاجة ودعمته بما ترجح لدي من أدلة ثم ذكرت في الخاتمة أهم ما توصلت إليه من نتائج وقد اعتمدت على أهم المصادر المعتبرة في كتب التفسير والحديث واللغة، وقد اختصرت العبارات في كتابة هذا الموضوع، لأن خير الكلام ما قل ودل وهو جهد متواضع أضعه بين أيديكم .

الكلمات المفتاحية: آيـات الشـر، القرآن الكريم، دراسة موضوعية

THE VERSES OF EVIL IN THE HOLY QURAN

Teacher Dr. Bashir H. Abed

Summary:

This topic was chosen due to its Importance. Dealing with is topic, the researcher relies on holy Quran being the spring of divine and pure materials. Therefore, the title is "verses of evil in Holy Quran: an objective study". The concept of evil is linguistically and idiomatically defined with a summary about the history of evil as well as some other evil related terms. To go further, this paper presents types of evil mentioned in the Holy Quran with explanation for each one and the views of the scholars. The types include tangible evils, abstract evils and unknown evils. It also deals with causes, how to avoid and the penalty of evils. The researcher depends on holy Quran verses. These verses are analyzed and objectively linked to the views of scholars with reference to the prominent ones as needed. The conclusion sums up the findings of the paper. The references used are the well-known in hadith, linguistics and interpretation.

Keywords: *verses of evil, Quran, objective study*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار، مقدر الأقدار، ومصرف الأمور مكور الليل والنهار تبصرة لأولي الأبصار، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله وصفيه وخليله أفضل المخلوقين، وأكرم السابقين واللاحقين وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فوجب على كل مؤمن يخاف الله تعالىٰ ويخشاه أن يبحث عن الخير ويأتيه، وأن يتجنب الشر ويتقيه، وهذا يتطلب معرفة أبواب الخير وطرقه ومعرفة أبواب الشر ومصادره، ولأهمية هذا الموضوع فقد وقع اختياري عليه، فإن واقع أمتنا الراهن وما يحيط بها من شرور ومكائد خارجيه وداخليه وما حل بها من ضعف جعلها تعيش في واقع من التخلف والجهل والقعود عن ركب الحضارة حتى غدت فريسة لمختلف أنواع الشرور، مما حدا بي إلى نهج هذا الطريق واختيار هذا الموضوع الحساس، وقد اعتمدت في معالجتي لهذا الموضوع القرآن الكريم دستور الأمة الخالد وصراطها المستقيم الذي لا حيدة لها عنه ولا مناص لها في نهضتها إلا بالرجوع إليه، فلم نجد أفضل من كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لنستلهم من بحر علومه وعظيم أسراره وبركاته ونتدبر آياته ونشم أريج عطره ونسماته، وبعد التوكل على الله.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن اقسمه على ثلاث مباحث:

درست في المبحث الأول: مفهوم الشر وحقيقته.

وخصصت المبحث الثاني: الواردة فيهم الألفاظ ذات الصلة بالشر.

وتناولت في المبحث الثالث: أنواع الشر.

وختمت البحث بخاتمة أوجزت فيها ما توصلت إليه من النتائج.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول:

مفهوم الشر وحقيقته

المطلب الأول:

الشر في اللغة والاصطلاح

الشر: (**لغة**) ضد الخير، يقال شَرَرْتَ يا رجل بفتح الراء وكسرها لغتان، شَرا وشَراراً وشرارة بفتح الشين في الكل، وفلان شَرَّ الناس ولا يقال أَشَرُّ الناس إلا في لغة رديئة، وقوم أشرار وأشِدّاء كأشِرّاء. قال يُونُسُ: واحد الأشرار رجُلٌ شَرٌّ كزَند وأزناد، وقال الاخفش: واحدها شَرير كيتيم وأيتام. ورجُلٌ شِرّير بوزن سِكّيت أي كثير الشَّر، وشِرَّةُ الشباب حِرْصُه ونشاطُه، والشِرّة بالكسرة مصدر الشَّر أيضاً. والشَرارَةِ بالفتح واحدةُ الشَّرار وهو ما يتطاير من النار، وكذا الشَّررَة والجمع شَرَ، والمُشارة المخاصمةُ[١].

الشر: (**لغة**) ويضم نقيض الخير جمع شرور وقد شر يشر ويشر شراً وشرارة وشررت يا رجل مثلته الراء وهو شَرير من أشرار شريرينَ وهو شر منك وأشر قليلة أو رديئة وهي شرة وشرى وقد شاره والشر بالضم والمكروه وما قلتُ ذاك لشرك أي لشيء تكرهه وبالفتح أبليس والحمّىٰ والفقر والشرير كأمير جانب البحر وشجر ينبت في البحر وبها، المسلة وشريرة كهُدَيَرة بنت الحُرِث صحابية وأبو شريرة كُنية جَبَلة بن سُحَيم وشرة الشبابِ بالكسرة نشاطُه وككتاب وجَبَلٍ ما يتطاير من النار[٢].

والشر: (**لغة**) السوء والفعل للرجل الشرير والمصدر الشَّرَارَةُ والفعل شَرَّ يَشُرّ وقوم أشرار ضد لأخيار ابن سَيد: الشر ضد الخير وجمعه شرور لغة فيه (عن كراع) وفي حديث الدعاء: والخير كله بيدك، والشر ليس إليك، أي أن الشر لا يتقرب به إليك

---

(١) مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، دار الرسالة – الكويت ص٣٣٤.

(٢) القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي دار الجبل ،الجزء الثاني، ص ٥٩.

ولا يبتغي به وجهك أو أن الشر لا يصعد إليك وإنما يصعد إليكَ الطيب من القول والعمل[١].

وأيضاً ما قالهُ ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): (شر الشين والراء أصل واحد يدل على الانتشار والتطاير من ذلك الشر خلاف الخير والرجل شرير وهو الأصل لانتشاره وكثرته)[٢] . وقد ذكر محمد مرتضى الحسيني (ت٨١٧هـ): إن الشَرَّ بالفتح إبليس لأنه الآمر بالسوء والفحشاء، والمكروه والشر الحمَّى والشر الفقر والأشبه أن تكون هذه الإطلاقات الثلاثة من المجاز[٣].

وذكر أن: (أشر مرح ونشط، وبطر وأستكبر وهو أشر)[٤]. وفي التنزيل العزيز قال تعالىٰ: ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾[٥]. وفي الحديث: (قال ﷺ فإن لكل عابد شرة ولكل شرة فترة فأما إلى سنة وإما إلى بدعة فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدي ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك)[٦].

وقال السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): (الشر: ما ينفر منه كل احد، وقد يكون دينياً ودنيوياً، والدنيوي مدرك لذوي العقول من غير توقف على غيره غالبا وأما الديني فلا

---

(١) لسان العرب لابن منظور، طبعة جديدة ومحققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة، الناشر دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع، ص٢٢٣٣ مادة شر.

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة (شر) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩م ،١٨٠/٣.

(٣) ينظر القاموس المحيط، ٥٣٧/١. تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) دار الهداية ١٥٥/١٢.

(٤) المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار ، تحقيق : دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، ١٩/١.

(٥) سورة القمر: ٢٦.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) القاهرة مؤسسة قرطبة ١٥٨/٢، رقم الحديث ٦٤٧٧.

يعلم غالبا إلا بالتوقف على الرسل كآداب الجوارح في العبادات والأمتناع من ملاذ الدنيا وان حصل بها تألم عاجل وان بها خير آجلاً ويقال: رجل شرير وشراني، متعاط للشر والجمع شرارة قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾(١). والشر بالضم خص بالأمر المكروه، وشرر النار ما تطاير منها(٢).

المطلب الثاني:

الشر اصطلاحا

عندما نطَّلع على نصوص القرآن الكريم التي وردت فيها كل الشر نجد أن التعبير القرآني استعملها في الألفاظ الآتية:

أولاً: شر، وقد وردت في سبعة عشر موضعاً(٣).

ثانياً: بشر، وقد وردت في موضعين(٤).

ثالثاً: الشر، وقد وردت في سبعة مواضع(٥).

رابعاً: شرا، وقد وردت في موضعين(٦).

---

(١) سورة ص: من الآية ٦٢.

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ٢/٢٥٩ – ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٦. سورة آل عمران: الآية ١٨٠، ١٨٢. سورة المائدة : الآية ٦٠. سورة الأنفال : الآية ٢٢، ٥٥. سورة يوسف: الآية ٧٧ . سورة مريم : الآية ٧٥. سورة الفرقان: الآية ٣٤. سورة ص: الآية ٥٥. سورة الجن: الآية ١٠. سورة الأنسان : الآية ١١. سورة البينة: الآية ٦. سورة الفلق : الآية ٢، ٣، ٤، ٥. سورة الناس : الآية ٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٠. سورة الحج : الآية ٧٢.

(٥) سورة يونس: الآية ١١. سورة الأسراء : الآية ١١، ٨٣. سورة الأنبياء: الآية ٣٥. سورة فصلت: الآية ٤٩، ٥١. سورة المعارج : الآية ٢٠.

(٦) سورة النور: الآية ١١. سورة الزلزلة : الآية ٨.

اتضح مما تقدم من المعنى اللغوي لكلمة (الشر) إنّه ما كان بخلاف الخير وهو المنقول عن ابن فارس وهو تعريف بالضرر ذلك بعد أن بين ان مفهوم الشر (التطاير والانتشار) وسُمي بذلك لما فيه من شبه بتطاير الشرر من النار وانتشاره وإيذائه للناس(١).

والمعنى الإصلاحي الذي أخذه العلماء مقارب للمعنى اللغوي، لأنه بالمفهوم نفسه، وفيها يأتي ذكر الأقوال بعض علماء اللغة والتفسير لهذا المعنى:

أولاً: قول الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): (الشر الذي يرغب عنه الكل، كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل)(٢) .

ثانياً: قول ابن كثير (ت٧٧٤هـ): (الشر وهو المصائب والحوادث والنوائب)(٣).

ثالثاً: قول ابن العربي (ت٥٤٣هـ): (الشر ما زاد ضره على نفعه)(٤).

رابعاً: قول أبي زهرة (معنى الشر: هو كل أمر لا نفع فيه ويسوء ويؤدي إلى فساد وضرر، كالشر، والعذاب، والإيذاء، والفتنة في الدين وتعجل كل هو مؤذ لنفسه أو لغيره)(٥).

وأقوال العلماء كلها تدور حول المعنى اللغوي نفسه، فقول الأصفهاني بأن الشر هو الذي يرغب عنه الكل، كما أن الخير يرغب فيه الكل. تعريف بالنتيجة والثمرة وتعريف ابن كثير الشر بالمصائب والحوادث والنوائب تعريف بالسبب المؤدي للشر

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ١٨٠/٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ، ٦١/٣.

(٤) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن عربي (ت٥٤٣ هـ) تحقيق : عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ٣٦٣/٣.

(٥) زهرة التفاسير، محمد احمد مصطفى، أبو زهرة (ت١٩٧٤م – ١٣٩٤ هـ) دار الفكر، بيروت، ٤٣٤٣/٨.

وتعريف ابن عربي للشر بما زاد أو ضره على نفعه تعريف بالخاصة والصفة وتعريف ابن عربي للشر بما لا ينفع فيع تعريف بالنتيجة وهذه الأقوال كلها مستنبطة من المعنى نفسه وتدور حوله ونستطيع أن نلخص قولا في بيان معنى الشر الاصطلاحي بما يأتي: وهو الأمر الضار الذي يؤدي إلى ضياع منفعة دينية أو دنيوية.

المطلب الثالث:

حقيقة الشر

عندما تستنتج حقيقة الخير والشر نجد إن حقيقة الخير هو ما زاد نفعه على ضره، وإن حقيقة الشر ما زاد ضره على نفعه، ولهذا عندما ننظر إلى البلاء النازل على الأولياء، نجد إن ظاهره ألم ومشقة وتعب فحسبه شرا، ولكن عندما نرى ما وراءه من خير وثواب كبير في الآخرة نجد أن الخير يكمن وراءه، وعندما نقرأ حادثة الإفك نجد إن الله تعالى نبه أُم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ومن ماثلها ممن نالهم من هذا الحديث، على أن ما اصلهم منه شر بل هو خير على ما وضع الله الشر والخير في الدنيا من المقابلة بين الضر جانب الشر[١] فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

وهذه الآية خطاب للرسول ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان ﷺ لاكتسابهم به الثواب العظم وظهور كرامتهم على الله تعالى بإنزال ثمان عشر آية في براءتهم وتعظيم شأنهم، وتهويل الوعيد على من تكلم فيهم بالشر، والثناء على من ظن بهم خيراً[٣].

---

(١) أحكام القرآن و لابن عربي، ٣٦٣/٣.

(٢) سورة النور: من الآية ١١.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وإسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٦٩١هـ) دار الفكر، بيروت، ١٧٦/٤.

وقد ذكر ابن القيم (ت ٧٥١هـ): إن الخير كله بيد الله وكل الخير منه صفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وخيرات لا شرور فيها [١] كما قال النبي ﷺ.

فَيقُولُ: (لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ،...)[٢]، فالشر يحمله الخلق في أفعالهم وفي تصرفاتهم فالله سبحانه وتعالى، له صفات الكمال، ولا ينسب إليه الشر، قال ابن القيم: (وإنّما يقع الشر في مفعولاته ومخلوقاته لا في فعله سبحانه، فإذا كان العبد وغيره مباركاً لكثرة خيره ومنافعه، واتصال أسباب الخير فيه وحصول ما ينتفع به الناس منه، فالله تبارك وتعالى أحق أن يكون مباركاً وهذا ثناء يشعر بعظمة والرفعة، والسمعة كما يقال تعاظم وتعالى ونحوه، فهو دليل على عظمة وكثرة خيره ودوامه، واجتماع صفات الكمال فيه، وإن كل نفع في العالم كان ويكون ضمن نفعه سبحانه وإحسانه)[٣].

ثم إن كل مخلوق يحمل في داخلة صفتي الخير والشر، ولذلك نرى إن إبليس عليه اللعنة، كانت في داخله هاتان الصفتان، فسخرهما لإغواء آدم عليه السلام وإخراجه من الجنة وذكر ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) إن (الشر هو الصفة القائمة بالنفس

---

(١) ينظر : جلاء الإفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، لأبي عبد الله بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الارناؤوط، عبد القادر الارناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ١/٣٠٤.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي (ت٢٠٤هـ) دار المعرفة، بيروت، ١/٥٥، رقم الحديث ٤١٤، والمصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة الأسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ٢/٧٩. رقم الحديث ٢٥٦٦. السنن الكبرى أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣١٣ هـ)، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري.

(٣) جلاء الأفهام، ١/ ٣٠٤.

الموجبة للذنوب وتلك موجودة كوجود الشيطان فاستفاد منها أن تضره أو تصيبه كما يقال: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم وإن حمل على الشرور الواقعة وهي الذنوب من النفس فهذا قسم ثالث)[١]، وحكمة لقمان المأثورة أنه قيل لهُ أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً[٢].

وإن قيل لم أقتصر القرآن الكريم على ذكر الخير دون الشر قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٣].

الجواب: وذلك لأنه يدل على أن بيده تعالى الخير والشر وإنما كان اقتصر على ذكر الخير، لأن السياق هنا يقتضي ذكر الخير فقط فيما يسوقه تعالى من الخير للمؤمنين كما يدل على أنه تعالى جمع أفعاله خير ليس فيها شر[٤].

والشر لا يتقرب به إلى الله ﷻ، ولا يضاف إليهٰ، بل إلىٰ ما اقترفته أيدي الناس من المعاصي أو ليس إليك قضاؤه فانك لا تقضي الشر من حيث هو شر بل ما يصحبه من الفوائد الراجحة فالمقضي في الذات هو خير والشر داخل في القضاء ولذلك قال (ان الشر ليس شراً بالنسبة إليه وإنما هو شر بالنسبة إلى الخلق)[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية)، لأبي العباس أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة بن تيمية، ط٢، ٢٩٠/١٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ محمد معوض وشارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد نجولي الجمل دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م، ١٨١/٧.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ٢٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط، ٤٣٨/٢.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري (ت١١٤ هـ)، تحقيق : جمال عيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٤٩٣/٢.

ثم إن على المتكلم أن يتأدب مع خالقه، فلا ينسب إلىٰ الله ما كان صفاته شراً فلا يقال يا خالق الخنازير، وإن خلقها وهذا كقوله تعالىٰ عن إبراهيم (عليه السلام): قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[١]، فنسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه[٢]، فقال تعالىٰ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾[٣]، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[٤]. وفي هذا إرشاد إلىٰ تعلم الأدب مع الله سبحانه وتعالىٰ[٥].

ومن جملة هذا الكلام الذي مر علينا يمكن أن نقول أن حقيقة الشر متجسدة في كل مخلوق، كما فيه خير فيه شر، ولكن الإنسان هو الذي يسلك المسلك الذي يريده ويختاره بإرادته، فإبليس عليه اللعنة اختار الشر فخسر الجنة، وأولياء الرحمن اختاروا طريق الخير فكان مصيرهم الجنة قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٦]، قال ابن كثير: (هي الطريق من خير وشر)[٧].

---

(١) سورة الشعراء: من الآية ٨٠.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح، ٤٩٣/٢.

(٣) سورة الكهف: من الآية ٧٩.

(٤) سورة الكهف: من الآية ٨٢.

(٥) ينظر: مرقاة المفاتيح، ٤٩٣/٢.

(٦) سورة البلد: من الآية ١٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥١٢/٤.

المبحث الثاني:

الألفاظ ذات الصلة بالشر منها

المطلب الأول:

الضر

الضر لغةً: ذكر العلماء لكلمة الضر في اللغة معانٍ منها:

ما قاله ابن فارس: (ضرّ الضاد والراء ثلاثة أصول الأول خلاف نفع الثاني اجتماع الشيء، الثالث القوة. فالأول: الضر ضد النفع ويقال ضره يضره ضراً وأما الأصل الثاني: فضرة الضرع لحمت قال أبو عبيدة الضرة التي لا تخلو من اللبن وسميت بذلك لاجتماعها وأما الثالثة: فالضرير قوة النفس ويقال فلان ذو ضرير على النفس إذا كان ذا صبر عليه ومقاساة)[١].

وقال ابن منظور: (هما لغتان كالشَهد والشُهد فإذا أجمعت بين الضر والنفع فتحت الضاد وإذا أفرد الضُر ضم الضاد وإذا لم تجعله مصدراً كقولك ضررت ضراً هكذا تستعملها العرب والضر بالضم الهزل وسوء الحال)[٢].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣].

وقال السمين الحلبي: الضُر والضَر والضَرر: سوء الحال اما في النفس لقلة العلم والفضل والعفة، واما في البدن لفقدان جارحة، واما حال ظاهره من قلة مال وجاه

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٣٦١/٣.

(٢) لسان العرب، مادة (ضرر)، ٤٨٢/٤.

(٣) سورة يونس: من الآية ١٢.

والضر ضد النفع[١] وفي التزيل العزيز: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾[٢]. وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٣].

وقال الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ): (الضر بالضم ضد النفع، أو بالفتح مصدر بالضم اسم ضرة)[٤]، وذكر أن الضرر فعل واحد والضرار فعل الاثنين وبه فسر الحديث (لا ضرر ولا ضرار)[٥]، أي لا يضر الرجل أخاه. فينقصه شيئاً من حقه ولا يجبر على أضراره بإدخال الضرر عليه[٦]. ومما سبق يتبين أن الضر هو خلاف النفع وما كان فيه ضراً على النفس والغير.

الضر اصطلاحاً: فإن معناه في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي ذكر أن (الضر بالفتح والضم ما يؤلم الظاهر من الجسم وهو ما يتصل بمحسوسه في مقابلة الأذى وهو إيلام النفس وما يتصل بأحوالها وتشعر الضمة الضر في الضر بأنه

---

(١) ينظر عمدة الحفاظ، ٣٧٤/٢. المعجم الوسيط، ٥٣٨/١.

(٢) سورة يوسف: من الآية ٨٨.

(٣) سورة الأنبياء: من الآية ٨٣.

(٤) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي اللغوي، (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٥٥٠/١. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ١٤٨/٨.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣١٣/١، رقم الحديث ٢٨٦٧. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ٧٨٤/٢، رقم الحديث ٢٣٤٠. المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، ٦٦/٢ رقم الحديث ٢٣٤٥.

(٦) ينظر تهذيب اللغة، ٣١٤/١١. تاج العروس، ٣٨٥/١٢.

من علو وقهر وبالفتحة بأنه ما يكون عن مماثل ونحوه وقل ما يكون عن الأدنى)[١]. كما قيل أن (الضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال)[٢]. كما أنه يأتي بمعانٍ متعددة فيأتي الضر بمعنىٰ الجوع والحاجة[٣]، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾[٤].

ويأتي بمعنىٰ المرض والهزال في النفس[٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٦]. ويأتي بمعنى الأهوال في البحر[٧]. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[٨]، ويأتي خلاف النفع[٩]، قال تعالى: ﴿وَإِن

---

(١) التوقيف على مهارات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣٠هـ) تحقيق : د.محمد رضوان الدابه، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ٤٧٢/١.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكوفي (ت١٦٨٣م) تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ٥٧٨/١.

(٣) ينظر: بحر العلوم، ٣٩٤/٣. القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ٣١١/١.

(٤) سورة يوسف: من الآية ٨٨.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن احمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي (ت٧١٠هـ) بيروت، ط١، ٨٨/٣.

(٦) سورة الأنبياء: من الآية ٨٣.

(٧) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢٩٤/٢. وبحر العلوم للسمرقندي، ٣٢٠/٢.

(٨) سورة الإسراء: من الآية ٦٧.

(٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٧٧/٦.

يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(١). ويأتي بمعنى القحط (٢). قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾(٣).

ويأتي بمعنىٰ سوء الحال في الدنيا(٤) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾(٥)، ويأتي بمعنىٰ البأس والشدة(٦) قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾(٧).

وخلاصة الأقوال السابقة في معنىٰ الضر أنه يكون: خلاف النفع، والقحط والشدة، وسوء الحال، والنقص في المال، والنفس، والضيق، والأذى، وفقد جارحة، والجوع والحاجة، والمرض والهزال في النفس، والأهوال في البحر، والبأس والإيلام النفس، وهو شائع في كل ضرر في الدنيا، وكل هذه الألفاظ تدل على معنى الشر أو ما يؤدي إليه.

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني، ١٧٨/٣.

(٣) سورة النحل: من الآية ٥٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦/٩.

(٥) سورة الأعراف: من الآية ٩٤.

(٦) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن احمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق، صفوان عدنان داودي، دار القلم، بيروت، ١٤١٥هـ، ٦٣٨/١.

(٧) سورة الإسراء: الآية من ٦٥.

المطلب الثاني:

السوء

السوء لغةً: ذكر العلماء لكلمة السوء معانٍ عدة منها:

قول ابن فارس: (السين والواو والهمزة انما هي من باب القبح تقول رجل سوء أي قبيح وامرأة سوأ أي قبيحة)(١) .

وقال الفيروز آبادي: إن الإسلام السُوء وقرئ. قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾(٢).

بالضم أي الهزيمة والشر والردى والفساد. والسوء ضد الحسنى وهي الآية النار والبيئة أصلها سيوءة فقلبت الواو ياء وأدغمت وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾(٣) من غير برص(٤).

وقال الزجاج: (السوء خيانة صاحبه والفحشاء ركوب الفاحشة)(٥). والسوء: اسم جامع لكل آفة وداء(٦). و(السوءة كل عمل وأمر شائن تقول سَوءة لفلان نُصِبَ، لأنه شتم ودعاء)(٧). و(السوءة الفجور والمنكر، ويقال فلان سيء الاختيار)(٨).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ١١٣/٣.

(٢) سورة التوبة: من الآية ٩٨.

(٣) سورة طه: من الآية ٢٢.

(٤) ينظر: القاموس المحيط، ٥٤/١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٠٢/٣.

(٦) ينظر تهذيب اللغة، ٩٠/١٣. أساس البلاغة، ٣١١/١. المحكم والمحيط الأعظم، ٥٤/١. تاج العروس، ١٧٢/١.

(٧) تهذيب اللغة، ٩٠/١٣.

(٨) لسان العرب، مادة (سوأ)، ٩٦/١.

السوء اصطلاحاً: السوء (كل ما يفهم الإنسان من الأمور الدنيوية والآخروية ومن الأحوال النفسية البدنية والخارجية من فوان مال وفقد حميم)[١]. والسوء بالفتح غالباً في أن يضاف إليه ما يراد ذمة والسوء بالضم جرىٰ مجرىٰ الشر وكلاهما الأصل مصدر [٢] وجاء السوء في القرآن الكريم بمعانٍ عدة منها [٣]:

أتىٰ بمعنىٰ الشدة قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٤]، ويأتي بمعنىٰ العقر قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥].

ويأتي بمعنىٰ الزنا قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٦]. ويأتي بمعنىٰ البرص قال تعالىٰ: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾[٧].

---

(١) التوقيف على أمهات التعاريف، ٤٩٨/١.

(٢) ينظر: الكليات، ٥٠٣/١.

(٣) ينظر المصدر نفسه، ٥٠٣/١.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٤٩.

(٥) سورة الأعراف: من الآية ٧٣.

(٦) سورة مريم: من الآية ٢٨.

(٧) سورة طه: من الآية ٢٢.

ويأتي بمعنىٰ الشرك قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١). ويأتي بمعنىٰ الشتم قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾(٢).

ويأتي بمعنىٰ الذنب قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾(٣). ويأتي بمعنىٰ الضر قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٤).

ويأتي بمعنى القتل والهزيمة قال تعالىٰ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٥). ويأتي بمعنىٰ بأس قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(٦).

ويأتي بمعنىٰ العمل القبيح(٧) قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٨).

---

(١) سورة النحل: من الآية ٢٨.
(٢) سورة النساء: من الآية ١٤٨.
(٣) سورة النساء: من الآية ١٤٨.
(٤) سورة النمل: من الآية ٦٢.
(٥) سورة آل عمران: من الآية ١٧٤.
(٦) سورة الرعد: من الآية ٢٥.
(٧) ينظر تفسير القرآن للسمعاني، ٢٣/٣.
(٨) سورة يوسف: من الآية ٢٤.

ويأتي بمعنى كل يسيء إلى النفس من سائر الذنوب والآثام[١]، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[٢].

وخلاصة الأقوال السابقة في معنىٰ السوء أنه القبيح والهزيمة، والشرة والفساد، وضد الحسنى، والخيانة والفحشاء كما انه كل ما يغم الإنسان وكل آفه ومرض وداء، وعمل شائن، والفجور، والمنكر، وعقر، وزنا، وشرك، وشتم، وضر، وقتال، وذنب، وآثام، وفي كل هذه المعاني يتبين ان السوء يدل على الشر دلالة واضحة.

المطلب الثالث:

القبيح

القبيح لغة: ورد في معاجم اللغة ان لكلمة القبيح معانٍ عديدة منها:

قال ابن فارس: (القاف والباء والحاء كلمة واحدة تدل على خلاف الحسن والقبح، يقال: قبحهُ الله وهذا مقبوح وقبيح وزعم ناس ان المعنى في قبحهُ نحاه وأبعده)[٣].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾[٤].

قال أكثر علماء اللغة: القبح ضد الحسن يكون في الصورة والفعل[٥]، وقال أحمد الفيومي: قبح الشيء قبحاً فهو قبيح من باب قرب وهو خلاف الحسن، وقبحه الله

---

(١) ينظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٩٩/٥.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٦٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ٤٧/٥.

(٤) سورة القصص: من الآية ٤٢.

(٥) ينظر المعجم الوسيط، ٧١٠/٢. أساس البلاغة، ٤٨٨/١. المحكم والمحيط الأعظم، ٢٢/٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الرازي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٣/٤.

بقبحه بفتحتين نحاه من الخير لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾[١]. أي المبعدين عن الفوز، والتَقبحَّ مبالغة، وقبح عليه فعله إذا كان مذموماً أو من المبعدين الملعونين وهو من القبح، وهو الإبعاد وقبح له وجهه أنكر عليه من عمل وقبح عليه فعله تقبيحاً[٢].

قال أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ): قبح فلان يقبح قباحة وقبحاً فهو قبيح وهو نقيض الحسن عام خلقه[٣]. وقال السمين الحلبي: القبح التنحية والإزالة يقال قبحه الله عن الخير، أي نحاه وأزالهُ[٤].

أما القبح في الاصطلاح: هو الاتصاف والقيام، لا الإيجاد والتمكين.

وهو عند الأصوليين: من جهة أنها تبحث في الحكم الثابت بأمر ليكون حسناً وما يتعلق به النهي يكون قبيحاً. وهو عند الفقهاء: من حيث أن جميع محمولات المسائل الفقهية، يرفع إليها ويثبتان بالأمر والنهي[٥].

والحسن والقبيح يطلقان على معانٍ ثلاثة [٦]:

الأول: صفة الكمال وصفة النقص كما يقال العلم حسن والجهل قبيح.

والثاني: ملائمة الغرض ومنافرته وقد عبر عنهما بالمصلحة والمفسدة.

والثالث: تعلق المدح والذم عاجلاً والثواب والعقاب آجلاً.

---

(١) سورة القصص: من الآية ٤٢.

(٢) ينظر: لسان العرب، ٥٥٢/٢. المصباح المنير، ٤٨٧/٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ٤٨/٤.

(٤) ينظر: عمدة الحفاظ، ٢٦٣/٣.

(٥) ينظر: الكليات، ٤٠٢/١.

(٦) ينظر: الكليات، ٤٠٢/١. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري، تح، عرّب عباراته الفارسية، حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٤٢/٢.

وذكر سيد قطب رحمه الله أن لفظة (المقبوحين) في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾[١] ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع، وجو التقزز والاشمئزاز، ذلك في مقابل الاستعلاء والاستكبار في الأرض، وفتنة الناس بالمظهر والجاه والتطاول على الله وعلى عباد الله[٢].

والقبيح مراتب ثلاثة: القبيح في العقول، وفي الشرائع، وفي العادات، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٣]، ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾. أشار إلى القبيح العقلي. وقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ أشار إلى القبيح الشرعي وقوله ﴿وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ إشارة إلى القبيح في العُرف والعادة، ومتىٰ اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح[٤].

وخلاصة الأقوال السابقة في القبح أن القبح خلاف الحسن، والإبعاد والتنحية من الخير، وما يعبر عنه بالمفاسد التي هي خلاف المصالح، وما ورد النهي عنه الذي هو خلاف ما ورد الأمر به، وما يتعلق بما يذم صفة أو فعلا، وما يشير إلى الفضيحة والتشنع، وإن دل هذا فإنما يدل على الشر وصفاته ومداولاته والآية التي وردت لفظة القبيح ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة القصص: من الآية ٤٢.

(٢) ينظر: في ضلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة، ٢٦٩٥/٥.

(٣) سورة النساء: من الآية ٢٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ -٢٠٠٠م، ٢١/١٠.

(٥) سورة القصص: من الآية ٤٢.

المطلب الرابع:

المنكر

المنكر لغة: من خلال تتبع لفظة المنكر في معاجم اللغة وجدت أنها تدل على معانٍ عديدة منها:

أولاً: قول ابن فارس (النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب)(١).

ثانياً: قول الفيروز آبادي وغيره (المنكر هو ضد المعروف)(٢).

ثالثاً: وقيل أن المنكر هو (كل ما قبحهُ الشرع وحرّمه وكرّهه)(٣).

رابعاً: قيل أن (المنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول فتحكم الشريعة بقبحه)(٤). ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٥). ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٦).

المنكر اصطلاحاً: تشير لفظة المنكر اصطلاحاً إلى معانٍ عدة منها:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٤٧٦/٥.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، ٦٢٧/١. المحكم والمحيط الأعظم، ٨٠٤/٦.

(٣) لسان العرب، ٢٣٣/٥. وتاج العروس، ٢٩٠/١٤.

(٤) عمدة الحفاظ، ٢١٩/٤.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٦) سورة العنكبوت: من الآية ٢٩.

إن (المنكر ما ليس فيه رضىٰ الله تعالىٰ من قول أو فعل والمعروف ضده)[١].

إن (المنكر ما عرف قبحه عقلاً كالكفر وعقوق الوالدين)[٢]. وفي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣]. قولان أحدهما: إن المنكر هو الشرك، والمعروف هو الأيمان بالله، والثاني: إن المنكر هو معصية الله تعالىٰ والمعروف هو طاعة الله تعالىٰ[٤]. والمنكر هو كل ما نهى الله عنه عبادة[٥].

وخلاصة القول في المنكر أنهُ يشير إلى معانٍ عديدة هي: خلاف المعرفة، وكل ما نهى الله تعالىٰ عنه وقبحهُ الشرع وحرمه وكرهه، وكل ما قبحهُ لعقل وأنكره، ويأتي بمعنى الشرك، ومعصية الله تعالىٰ وكذلك الشر فهو في هذا المعنىٰ أيضاً.

(١) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت٨١٦هـ) تحقيق: إبراهيم الانباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ٣٠٣/١. التوقيف على امهات التعريف، ٦٠٨/١. دستور العلماء،٢٤٤/٣.

(٢) الكليات، ٢٤٤/١.

(٣) سورة التوبة: من الآية ٦٧.

(٤) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، ٣٢٥/٢.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٩/١١.

المبحث الثالث:

أنواع الشر

المطلب الأول

شر الخلق

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ والمؤمنون جميعاً أن يتحصنوا برب المخلوقات ومبدع الكائنات، من كل ضرر وأذىٰ يأتيهم من المخلوقات، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾(١). ومعنىٰ أعوذ: التجأ واعتصم، ومنه قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي اعتصم بالله منه وبه(٢). وقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): (العوذ: الالتجاء إلىٰ الغير والتعلق به، يقال عاذ فلان بفلان)(٣).

ومعنىٰ الفلق: ضوء الصبح ينشق من ظلمة الليل، يقال تفلق الشيء، أي تشقق وبان بعضه عن بعض، والفلقة هي القطعة(٤).

قال الزجاج: (وإذا تأملت الخلق تبين لك ان خلقه أكثر عن انفلاق، فلفلق جميع المخلوقات، وفلق الصبح من ذلك)(٥).

وقد ذكر العلماء للعلق ثلاث معانٍ:

الأول: أنه الصبح، والثاني: أنه كل ما يفلقه الله، كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون، والثالث: أنه جُبَّ في جهنم(٦).

---

(١) سورة الفلق: من الآيات ١-٢.

(٢) ينظر: المصباح المنير، ٤٣٧/٢. المعجم الوسيط،٦٣٥/٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، (ت٧٤١هـ)، دار الكتاب العلمي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٣٥٢.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (فلق)، ٣٠٩/١٠. المصباح المنير، ٤٨١/٢. المعجم الوسيط، ٧٠١/٢.

(٥) معاني القرآن إعرابه، ٣٧٩/٥.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل، ٢٢٥/٤.

والصواب في هذه المعاني هو فلق الصبح وما ذهب إليه الطبري وقال ابن كثير هذا هو الصحيح(١).

ولقد جمع سيد قطب هذه المعاني بقوله: وسواء أكان هو الصبح فالاستعاذة برب الصبح الذي يؤمن بالنور من شر كل غامض مستور أم كان هو الخلق فالاستعاذة برب الخلق الذي يؤمن من شر خلقه، فالمعنى يتناسق مع ما بعده(٢).

وقال أبو منصور الأزهري: الخلق في كلام العرب على وجهين، أحدهما:

الإنشاء على مثال أبدعهُ والآخر التقدير، وقال في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(٣). معناه أحسن المقدرين، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤). أي: تقدرون(٥) فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾(٦) أي: من شر ما خلق من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك(٧)، وهذا يشمل جميع ما خلق الله تعالىٰ من أنس وجن وحيوانات فيستعاذ

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٥١/٣٠. تفسير القرآن العظيم، ٥٧٤/٤.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، ٤٠٠٧/٦.

(٣) سورة المؤمنون: من الآية ١٤.

(٤) سورة العنكبوت: من الآية١٧.

(٥) ينظر: نهذيب اللغة، ١٦/٧. لسان العرب، ٨٥/١٠. تاج العروس، ٢٥١/٢٥.

(٦) سورة الفلق: من الآيات ١-٢.

(٧) ينظر: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، (ت٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) دار الحديث، القاهرة، ط١، ٨٢/١.

بخالقها من الشر الذي فيها[١] وقد ذكر السمرقندي: (أن من شر ما خلق كل ذي شر)[٢].

وقد ذكر الرازي في تفسير هذه الآية وجوهًا:

أحدها: قال عطاء عن ابن فارس رضي الله عنه: يريد إبليس خاصة، لأن الله تعالىٰ لم يخلق خلقاً شراً منه، ولأن السورة إنما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بإبليس وأعوانه وجنوده.

ثانياً: يريد جهنم كأنه يقول قل أعوذ برب جهنم ومن شدائد ما خلق فيها.

ثالثاً: من شر ما خلق يريد شر أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرهما، يجوز أن يدخل فيه من يؤذي الجن والإنس أيضًا[٣]. والحاصل أن في قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (ثلاثة أقوال، أحدها: إنه عام وهو الأظهر، والثاني أن الشر ما خلق إبليس وذريته، والثالث جهنم)[٤].

وكل هذه المعاني مراده والمعنىٰ يحتملها، فالشر متحقق في حقيقة بعض الأشياء كالحيوانات المفترسة، وفي بعض الجن والإنس، وهذا تأييد القول الأول بان المراد من الشر عام في كل يحمل صفة الشر، يقول الرازي: (يريد من شر أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع، والهوام وغيرها ويجوز أن يدخل فيه من يؤذي الجن والإنس أيضاً ووصف افعالها بأنها شر وإنما جاز إدخال الجن والإنس تحت لفظ ما،

---

(١) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني، ٣٠٥/٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنانو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المعروف بتفسير السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ٩٣٧/١.

(٢) بحر العلوم، ٦١٠/٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، ١٧٧/٣٢.

(٤) زاد المسير في عالم التفسير، عبد الرحمن بن علي بم محمود الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، ٢٧٢/٩. الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٦/٢٠.

لأن الغلبة لما حصلت في جانب غير العقولاء حسن استعمال لفظة ما فيه، لأن العبرة بالأغلب أيضًا، ويدخل فيه الشرور الأطعمة الممرضة، وشرور الماء والنار)[١].

إن الإنسان عندما يعيش في هذه الحياة لا بد أن يتصل بباقي المخلوقات التي تعيش معه، وبما أن هذه المخلوقات فيها شرور، كان من الواجب على الإنسان أن يتحصن من شرها برب الفلق، ويقول سيد قطب: (للخلائق شرور في حالات اتصال بعضها ببعض، كما ان لها حيراً ونفعا في حالات أخرىٰ، والاستعاذة بالله من شرها ليبقي خيرها، والله الذي خلقها قادر على توجيهها وتدبير الحالات التي يتضح فيها خيرها لا شرها)[٢]. إن كل ما يخافه الإنسان في هذه الحياة الدنيا ويكرهه يعد عنده من الشر، ثم أن هنالك من الشرور ما لا يستطيع أي ردها والتحصن منها الا عن طريق واحد وهو الاستعاذة برب الفلق، للتخلص من شرورها، ولذا أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان، وشر الظالم وغيرها من الشرور، لأنه لا سبيل لدفعها الا بالاستعاذة بالله تعالىٰ.

المطلب الثاني:

شر الكفر

مما لا شك فيه أن الكفر شر على المجتمع وعلى صاحبه باعتبار أنه لا خير وراءه، ولذلك جعل سبحانه وتعالىٰ الكافر شر من الدابة، لأن الدابة قد يكون وراءها نفع لأهلها، أما الكاف فليس وراءه إلا الشر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾[٣].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، ١٧٧/٣٢.

(٢) في ظلال القرآن، ٤٠٠٧/٦.

(٣) سورة الأنفال: من الآيات ٥٥-٥٦.

الكفر لغة: قال ابن فارس: (الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنىٰ واحد وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعهُ بثوب: قد كفر درعه والمكفر الرجال المتغطي بسلاحه) [١] . كما أن (الكفر ضد الإيمان)[٢]. وقد قيل الكفر كفر النعمة وهو نقيض الشكر وهو جحود النعمة [٣] . وزاد ابن منظور بقوله يأت الكفر أيضاً بمعنىٰ (البراءة كقوله تعالىٰ حكاية عن الشيطان في خطيئته إذا دخل النار[٤] أي تبرأت)[٥].

الكفر اصطلاحاً: فقد عرفه الراغب الأصفهاني بقوله: (الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة، أو النبوة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين كثر، والكفور فيها جميعاً)[٦] قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٧]. يبين الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الآية الكريمة أن شر ما يدب على وجه الأرض أي في حكمة الذين كفروا، المصرون على الكفر المتمادون في الضلال ولهذا فهم لا يؤمنون لان هذا شأنهم فلا يؤمنون أبداً ولا يرجعون عن الغواية أصلاً وجعلهم شر الدواب لا شي الناهي لعدم تعقلهم لما فيه رشادهم[٨].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ١٩١/٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ١٩١/٥. مختار الصحاح، ٢٣٩/١. تاج العروس، ٥/١٤.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ١٩١/٥. لسان العرب، لابن منظور، ١٤٤/٥.

(٤) سورة إبراهيم: من الآية ٢٢.

(٥) لسان العرب، لأبن منظور، ١٤٥/٥، مادة برأ.

(٦) المفردات في غريب القرآن، ٤٣٣.

(٧) سورة الأنفال: من الآية ٥٥.

(٨) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ٣١٩/٢.

وقيل إن: (المعنىٰ المقصود تفضيل الدواب كالخنزير والكلب العقور على الكافرين الذين حتم عليهم بأنهم لا يؤمنون وهذا الذي يقتضيه اللفظ واما الكافر الذي يؤمن فيما يستأنفه من عمره فليس بشر الدواب)[١].

وقد بين النسفي (ت٧١هـ): (إن شر الدواب أنها تشير إلى انسلاخهم عن الإنسانية ودخولهم في جنس غير الناس من أنواع ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾[٢] أي أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان)[٣].

وذكر السمعاني (ت٤٨٩هـ) أن سبب تسميتهم بالدواب فقال: (سماهم الله تعالىٰ دواب وأنعاماً لقلة انتفاعهم بعقولهم وألبابهم وأسماعهم وأبصارهم فهم لا يؤمنون)[٤]. وقيل: إنهم شر الدواب، لأنهم أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم إيمان ولعله أخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون[٥] كما إنه تعالىٰ لما وصف الكفار بقوله: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾[٦]. أفرد بعضهم

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق، عبد السلام بن عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ٥٤١/٢.

(٢) سورة الأنفال: من الآية ٥٥.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٧٠/٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، تحقيق، عبد الرزاق بن مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢١٨/٢.

(٤) تفسير العظيم، لابن كثير، ٢٧٣/٢.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٦٦/٣.

(٦) سورة الأنفال: من الآيات ٥٤.

بمزية في الشر والعناد فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(١).

أي في حكمه وعلمه من حصلت له صفتان:

الصفة الأولى: الكافر الذي يكون مستمراً على كفره مصراً عليه لا يتغير عنه البتة.

الصفة الثانية: أن يكون ناقضاً للعهد على الدوام.

والسبب في كون هؤلاء الكفار شراً من الدواب (لأنهم أوتوا عقلاً فشوهوا إدراكها، وأوتوا فطرة سليمة، فرضوا أن يعبدوا حجارة هي أحط من أحط الحشرات وجوداً، لأن الحشرة فيها حياة وأوثانهم لا حياة فيها وهم شر الأحياء، لأن كل شي حي فيه نفع وان كنا لا نحصيه، وهم شر، لأنهم ظالمون ولا نفع فيهم، وهم شر لأنهم يعاندون الخير ويعاندون الحق ويؤيدون الشر، وإذا كان مقياس الخير والشر هو النفع في الخير والفساد في الشر فالذين كفروا بمقتضى هذا القياس سلب منهم كل خير، واتسموا بكل شر فكانوا شر الأحياء)(٢).

ثم أعطى رب العالمين صفة هؤلاء الكفار الذين هم شر الدواب فوصفهم بأنهم (كلما عاهدوا عهداً نقضوه وكلما أكدوه بالإيمان نكثوه وهم لا يتقون، أي لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام)(٣). المعاهدة: (عبارة عن إعطاء العهد وأخذه من الجانبين)(٤).

---

(١) سورة الأنفال: من الآيات ٥٥.

(٢) زهرة التفاسير، ٦/٣١٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٢/٣٢١.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢/٧٠، إرشاد العقل السليم إلى مرايا القرآن الكريم، ٤/٣٠.

وذكر أن بني قريضة كانوا يستمرون على النقض، والحال أنهم لا يتقون سُبَّة الغدر لا يبالون بما فيه من العار والنار[١]، وبعدها نقضوا العهد ووالوا قريشاً وأمروهم بالسلاح والدرع، انجلت تلك الحال عن النبي ﷺ فأمره الله تعالىٰ الخروج أليهم وحربهم فاستنزلوا وضربت أعناقهم بحكم سعد بن معاذ[٢]، هؤلاء الذين جمعوا هذه الخصال الثلاث الكفر وعدم الإيمان والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه، ولا قول قالوه هم شر الدواب عند الله فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم والشر متوقع فيهم فإذهاب هؤلاء ومحقهم هو المتعين لئلا يسري داؤهم لغيرهم[٣].

قال الزمخشري: (إنّ شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون العهود)[٤].

المطلب الثالث:

شر القتال

مما لا شك فيه أن القتال فريضة شاقة، والمشقة يكرهها الإنسان ولكنه لا يدري إن وراء المكروه خيراً ووراء المحبوب شراً قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٥]، قبل بيان شر القتال، لابد لنا من معرفة ما هية الكره، عند أهل اللغة والمفسرين.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مرايا القرآن الكريم، ٣٠/٤.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥٤٢/٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥٤٢/٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان، ٣٢٤/١.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ٢١٨/٢.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢١٦.

فالكره عند أهل اللغة: بالضم المشقة وبالفتح الإكراه يعني: إكراه الإنسان نفسه عليه، ويقال: كره الشيء كراهية خلاف أحبه، ويأتي الكره بمعنىٰ القهر، يقال: أكرهه على الأمر أي: قهره عليه، والكريهة تطلق على الحرب أو الشدة[١] أما عند المفسرين فإن معناه لا يختلف عن معناه اللغوي فالكره هو أيضاً المشقة والشدة[٢].

ولقد خاطب رب العالمين عباده بقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ مبيناً لهم حكم القتال، قال السعدي (ت٥١٥هـ): (هذه الآية فيها فرض القتال في سبيل الله بعد ما كان المؤمنون مأمورين بشركه لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكثر المسلمون وقووا أمرهم الله تعالىٰ بالقتال وأخيراً انه مكروه للنفوس لما فيه من التعب والمشقة والأصول أنواع المخاوف والتعريض للمخالف ومع هذا فهو خير محض لما فيه من الثواب العظيم والتحرز من العقاب الأليم والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم وغير ذلك مما هو مرب على ما فيه من الكراهية)[٣].

قال القرطبي: إنّ الجهاد كرهاً، لأن فيه إخراج الحال، ومفارقة الأهل والوطن والتعرض بالجسد الشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس، فكانت كراهيتهم لذلك أنهم كرهوا فرض الله تعالىٰ، وقال عكرمة في هذه الآية: أنهم كرهوه ثم أحبوه وقالوا سمعنا وأطعنا وهذا، لأن امتثال الأمر يتضمن مشقته، ولكن إذا عرف الثواب هان في جنبه مقاساة المشقات)[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة كره، ٥٣٤/١٣. المصباح المنير، ٥٣٢/٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق، د.مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ٨٧/١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ،٢٥٣/١. للصنعاني، ٢١٥/١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٩٦/١-٩٧.

(٤) ينظر: تفسير البغوي، ١٨٨/١. الجامع لأحكام القرآن، ٣٨/٣.

ثم قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[١] لأن القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء، والاستيلاء على بلادهم، وأموالهم وذراريهم وأولادهم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وهو عام في الأمور كلها قد يحب المرء شيئاً وليس فيه خيره ولا مصلحة ومن ثم ذلك القعود من القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم ثم قال تعالىٰ: في الآية نفسها ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي هو اعلم بعواقب الأمور منكم وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم فاستجيبوا له وانقادوا لأمره لعلكم تسترشدون[٣].

وقد ضرب القرطبي مثالاً بقوله في الدنيا إزالة ما يؤلم الإنسان ويخاف منه كقطع عضواً، وقلع ضرس، وفصد، وحجامة، وابتغاء العافية ودوام الصحة ولا نعيم أفضل من الحياة الدائمة في دار الخلد والكرامة في مقعد صدق)[٤]. والغالب أن في الأمور الشاقة التي من جملتها القتال أن النفوس تكره وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على أن في القتال خيراً لهم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ﴾ وهو جميع ما نُهوا عنه من الأمور المستلذة والتي تميل إليها النفس وتهواها[٥].

ومن طرائف التعبير القرآني في قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ أن رب العزة ﷻ لم يقيد الشيء

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢١٦.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢١٦.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٢٥٧/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٣٩/٣.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مرايا القرآن الكريم، ٢١٦.

المحبوب أو المكروه أي لم يقل تحبون القتال أو تكرهونه، وانما عبر بصيغة، شيئاً فجعله عاماً في كل الأنبياء ،لأن كراهية النفس للشيء لا تدل على انتفاء الخير منه، فربما تحب النفس شيئاً فيكون فيه الشر، وربما تبغض شيئاً ويكون فيه الخير الوفير، فهذا النص يدعو جميع البشر إلى إدراك معانٍ كثرة قبل الإقدام على أمر في هذه الحياة(١).

والمراد من شر القتال لما فيه من المشقة وهو خير لكم فربما تغلبون وتظهرون وتغنمون وتؤجرون ومن مات مات شهيداً وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال، وهو شراً لكم فربما يتقوى الله عليكم العدو فيغلبكم ويقصدكم إلى عقر داركم فيحل بكم اشد مما تخافون من الجهاد الذي كرهتم مع ما يفوتكم في ذلك من الفوائد العاجلة والآجلة والله يعلم ما فيه صلاحكم وفلاحكم وانتم لا تعلمون)(٢).

ومعلوم أن القتال مكروه للنفس، لما فيه من التعب والمشقة وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتآلف، وتحل الأخطار في الأسفار والهلاك(٣). والحاصل أن القتال سبب لحصول الأمن وذلك خيراً من الانتفاع بسلامة الوقت(٤).

من فوائد القتال الذي يحسبه المسلم في ظاهره أن العدو إذا علم ميلكم إلى الدنيا والسكون قصد بلاءكم وحاول قتلكم فاما ان يأخذكم ويستبيح دمائكم وأموالكم، واما ان تحتاجوا إلى قتالهم من غير إعداد آلة وسلاح وهذا يكون كترك مداواة المريض في أول ظهوره بسبب نفرة النفس عن تحمل مرارة الدواء ثم في آخر الأمر يصير المرء مضطراً

(١) ينظر: البحر المحيط، ٢١٣/٣. تفسير القرآن الكريم، سيد محمد رشيد رضا، المشهور بتفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط٢، ٤٥٨/٤. زهرة التفاسير، ١٦٢٢/٣.

(٢) ينظر: فتح القدير، ٢١٦/١.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٩٧/١.

(٤) ينظر: التفسير الكبير، ٢٥/٦.

إلى تحمل أضعاف تلك النفرة[١]. والكلام عام في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما تتوهمه فيها من المشقة انها خير بلا شك وأن أفعال الشيء التي تحبها النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شرٌ بلا شك[٢].

أما أحوال الدنيا فليس الأمر مطرداً ولكن الغالب على العبد المؤمن أنه إذا أحب أمراً من الأمور قيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له في ذلك أن يشكر الله ويجعل الخير في الواقع لأنه يعلم أن الله تعالىٰ أرحم بالعباد من نفسه وأقدر على مصلحهِ عليه منه وأعلم بمصلحته منه[٣].

المطلب الرابع:

شر الفتن

لقد أكد الله تعالىٰ أن جميع نفوس الخلائق ذائقة الموت لا محالة، وأن الله مبتلي الناس بالخير والشر فتنة لهم ليميز الصبور من الشكور من الجزوع اليؤوس ثم يرجعون إليه فيثيبهم على أعمالهم الصالحة، ويعاقبهم على قدر الأعمال السيئة قال تعالىٰ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[٤].

ما قاله ابن فارس: (فتن الفاء والتاء والنون، أصل صحيح يدل على ليَّ الشيء من ذلك فتلت الحبل وغيره)[٥]. والفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذة من قولك فتنة الفضة والذهب، إذا أذبتها بالنار ليميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٦] أي يحرقون بالنار[٧].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، ٢٤/٦.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٩٧/١.

(٣) المصدر نفسه، ٩٧/١.

(٤) سورة المؤمنون: من الآية ٣٥.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ٤٧٢/٤، مادة (فتن).

(٦) سورة الذاريات: من الآية ١٣.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة، ٢١١/١٤. لسان العرب، ٣١٧/١٣.

(والفتنة الظلال والإثم والفاتن المضل عن الحق والفاتن الشيطان، لأنه يضل العباد)[١]. وفتن الرجل أي أزاله عما كان عليه مما كان عليه ومنه قولهُ ﷻ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾[٢]. أي: يميلونك ويزيلونك، وقولهم فتنت فلانة فلاناً قال بعضهم معناه إمالته عن القصد والفتنة في كلامهم معناه المميله عن الحق)[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[٤]. ويسمى الصائغ الفتنا وكذا الشيطان (والفتنة بالكسر الخبرة ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[٥]. قيل معناه يختبرون بالدعوة إلى الجهاد، وقيل بإنزال العذاب والمكروه)[٦]. (والفتنة إعجابك بالشيء)[٧] . ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٨].

---

(١) لسان العرب، ٣١٧/١٣، مادة (فتن).

(٢) سورة الإسراء: من الآية ٧٣.

(٣) ينظر: لسان العرب، ٣١٩/١٣.

(٤) سورة الصافات: من الآيات ١٦٢-١٦٣.

(٥) سورة التوبة: من الآية١٢٦.

(٦) تاج العروس، ٤٩٠/٣٥.

(٧) تاج العروس، ٤٩٠/٣٥.

(٨) سورة يونس: من الآية ٨٥.

والفتنة والإثم والمعصية ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١)، والفتنة الكفر(٢)، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

والفتنة الاختبار بالنار والابتلاء وفي التنزيل العزيز: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٤). والإعجاب والاستهتار به والتدلة بالشيء والاضطراب وبلبلة الأفكار(٥).

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٦).

والفتنة الفضيحة(٧). ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٤٩.

(٢) ينظر: تاج العروس، ٣٥/٤٩١.

(٣) سورة البقرة: من الآية ١٩١.

(٤) سورة الأنبياء: من الآية ٣٥.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط، ٢/٦٧٣.

(٦) سورة آل عمران: من الآية٧.

(٧) ينظر: تاج العروس، ٣٥/٤٩٢.

ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وقال الطبري (ت٣١٠هـ) تعريفاً على هذه الآية: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ قال بالرخاء والشدة وكلاهما بلاء(٢)، وقيل: في هذه الآية نختبركم بالشر والخير بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنىٰ والفقر، وقيل: بما تحبون وما تكرهون فننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون(٣). (والمراد أنه سبحانه يعاملهم معاملة من يبلوهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر)(٤).

وذكر البيضاوي (ت٦٩١هـ) في تفسيره أن معنى نبلوكم أي نعاملكم معاملة المعتبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق(٥). وقدم الشر لأن الابتلاء به أكثر، ولأن العرب من عادتها أن تقدم الأقل والاردى فمنه قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا

(١) سورة المائدة: من الآية ٤١.

(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ٢٤/١٧.

(٣) ينظر: تفسير البغوي، ٢٤٤/٢. تفسير الجلالين، ٤٢٣/١.

(٤) فتح القدير، ٤٠٦/٣.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٨٠/٣. وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٩٣/٤.

ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾(١).

فبدأ في تقسيم أمة محمد ﷺ بالظلم لنفسه. وقيل المراد من الخير والشر هنا ما يصح أن يكون فتنة وابتلاء وذلك خير الحال وشره وخير الدنيا في الحياة وشرها أما الهدى والظلال فغير داخل في هذا ولا الطاعة ولا المعصية، لأن من هدى فليس نفس هداه اختبار(٢).

وذكر الآلوسي في روح المعاني قولهُ ﴿وَنَبۡلُوكُمۡ﴾ والخطاب إما للناس كافة بطريق التلوين أو للكفرة بطريق الالتفاف أي نعاملكم معاملة من يختبركم بالشر والخير بالمكروه والمحبوب هل تصبرون وتشكرون أولاً وتفسير الشر والخير بما ذكره قال الإمام العادل عمر بن الخطاب ﷺ (بُلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسَّراء فلم نصبر).

وقال الإمام علي كرم الله وجهه (من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله أنه ولعله يعلم منه وجه لتقديم الشر فتنه (أي ابتلاء فهو مصدر مؤكد لنبلوكم على غير لفظه)(٣).

(بمثل هذا المعنى قال ابن كثير في تفسيره أنه تعالىٰ يختبركم بالمصائب تارة والنعم تارة أخرى، فينظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط)(٤).

وأخطر الفتن التي تصيب الإنسان في حياته فتنة الدين وخطورتها تقع على استجابة الإنسان لها، والإنسان فيها ومن أعظم الشرور التي حذرنا منها رسول الله ﷺ فتنة الدجال الذي يعيث في الأرض فساداً فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

---

(١) سورة فاطر: من الآية ٣٢.

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٨١/٤.

(٣) ينظر: روح المعاني، ٤٧/١٧.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ١٧٩/٣.

(قام رسول الله في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إني لأنذركموه وما من نبي إلا انذره قومه ولكني أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه أنه أعور وأن الله ليس بأعور)(١).

(وروي عن إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)(٢).

ومما سبق ليتبين أن الفتنة قد تكون شيئاً وقد تكون خيراً فتكون شيئاً إذا جزع الإنسان عن حكم ربه وتبع هواه في ذلك، وتكون خيراً إذا صبر الإنسان وشكر وتبع حكم ربه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، بيان قول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾نوح: ١، ٣/١٢١٤، رقم الحديث ٢١٥٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٣/١٣١٩، رقم الحديث، ٣٤١١. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ٣/١٤٧٥، رقم الحديث ١٨٤٧.

المطلب الخامس:

شر الغاسق

إن من أنواع الشرور التي أمر الله بالاستعاذة منها هو شر الغاسق قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[١]. وقد بين العلماء معنىٰ الغاسق فقيل هو: الليل إذا غاب الشفق، واشتدت ظلمته، والقمر إذا أظلم بالخسوف[٢]. وقال الزمخشري: (غاسق القمر أظلم بالخسوف، وأغسقنا دخلنا في الغسق، ونقول: أعوذ بالله من الغاسق إذا وقب، ومن الغاسق إذا وثب)[٣]. وقيل الغاسق: (من شر الليل إذا أظلم والقمر إذا غاب)[٤]. وقال ابن عباس ﷺ: (من شر الليل إذا دخل وأدبر)[٥].

وقال السمرقندي: (أو ظلمة الليل إذ دخل سواده في ضوء النهار، ويقال إذا وقب يعني إذا جاء وأدبر)[٦]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر إذا خسف وأسود ووقب، أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وأظلم وقال (استعيذي بالله من شر هذا فان هذا الغاسق إذا وقب)[٧].

وقال البغوي (ت ٥١٦هـ): (يعني ظلمة الليل إذ دخل سواده في ضوء النهار، وقيل سمي الليل غسقاً، لأنه أبرد من النهار، والغاسق البرد...، . ويقال: (إن الأسقام تكثر عند ظلوعها وترتفع عند ظلوعها)[٨].

---

(١) سورة الفلق: من الآية ٣.

(٢) ينظر: العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ٣٥٣/٤. لسان العرب، ٢٨٨/١. المعجم الوسيط، ٦٥٢/٢.

(٣) أساس البلاغة، ٤٥٠/١.

(٤) تفسير الجلالين، ٨٢٧/١.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٢٤٢/٢.

(٦) بحر العلوم، ٦١٠/٣.

(٧) الجامع الصحيح، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (□)، باب ومن سورة المعوذتين، ٤٥٢/٥، رقم الحديث، ٣٣٦٦، وقال حديث حسن صحيح.

(٨) تفسير البغوي، ابن سعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، ٥٤٧/٤.

وذكر الرازي: إن الغاسق هو الليل إذا أعظم ظلاله[١]. واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾[٢].

وقال الزهري: في الغاسق إذا وقب الشمس إذا غربت، ووقب في كام العرب دخل[٣]. وذكر أن الاستعاذة من المقر جائزة، لأن أهل البرية يتحينون وجه القمر أي وهم اللصوص وأهل الشر والفساد)[٤].

وقوله إلى غسق الليل أي: (دخل ظلاله في كل شي وتخصيصة لان المضار فيه تكثر، بعسر الدفع، ولذلك قيل الليل أخفى الوبيل، وقيل: المراد به القمر فإنه ينكسف فيغسق ووقبه دخولهُ في الكسوف كما أنه وقت يتحينه الشطار[٥]. والأظهر في الأقوال ما ذهب إليه أغلب المفسرين من أن الغاسق هو الليل وظلمته كما أن الموضوع الذي تدور حوله هذه الآية الكريمة هو توجيه العباد إلى الاستعاذة بالله القادر على أن يؤمنهم من المجهول الذي يخافونه، فكم من الشرور المجهولة التي يخاف الإنسان الوقوع بها من وحش مفترس أو عدو متربص، يقول سيد قطب في بيانه لمعنىٰ الغاسق: (والمقصود هنا – غالباً هو الليل وما فيه حينما يتدفق فيغمر البسيطة... والليل حينئذ مخوف بذاته، فضلاً على ما يثيره من توقع المجهول الخافي من كل شيء من وحش مفترس يهجم، ومتلصص فاتك يقتحم، وعدو مخادع يتمكن، وحشرة شاحة تزحف ومن وسواس وهواجس وهموم وإشجان تتسرب في الليل، وتخفق المشاعر والوجدان، ومن

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ٨٢٧/٤. التفسير الكبير، ١٧٨/٢٢.

(٢) سورة الإسراء: من الآية ٧٨.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥٣٨/٥.

(٤) تفسير القرآن، للسمعاني، ٣٠٦/٦.

(٥) الشاطر: الشطار الذي أعيا أهله ونزح عنهم، تاج العروس، ١٧١/١٢.

شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق والإيحاء، ومن شهوة تستيقظ في الوحدة والظلام، ومن ظاهر وخافٍ يدبّ ويثب، وفي الغاسق إذا وقب)[١].

كما أن خسوف القمر يحدث المد والجزع والخوف وإلى غير ذلك من الأسباب الطبيعية وقد أمر الله تعالىٰ بالاستعاذة من شر الغاسق هو ظلام الليل، أو خسوف القمر، لأن في كلاهما ظلام، على ما سبق من أقوال للعلماء في ذلك ،لأن الليل يجهل ما فيه من الشرور ما ظهر منها وما خفي عنها ظهر ما يكون من سرقة وفساد وما اخفى ما يكون من آفات وهوام لا يعلمها الإنسان، فأمر الله سبحانه وتعالىٰ عباده ان يستعينوا به ويلتجئوا إليه في أن يقيهم هذه الشرور التي لا يستطيع الإنسان أن يقي نفسه منها أعاذنا الله منها.

المطلب السادس:

شر السحر

إن من أنواع الشرور غير المحسوسة هو السحر ذلك الشر العظيم الذي أصيبت به الأمة السابقة ولم تسلم منه حتىٰ امتنا بل ولم يسلم منه نبينا محمد ﷺ ولذلك رحم الله هذه الأمة وأنزل إليها قرآناً يكون حصناً لهم من هذا الشر.

وقد أشار العلماء إلى معنى السحر بأقوال منها:

ما قاله ابن فارس: (السحر إخراج الباطل في صورة الحق)[٢]، وقيل: (السحر في الشرع مختص بكل أمر يخفىٰ سببهُ على غير حقيقته ويجري مجرىٰ التمويه والخداع)[٣].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤٠٠٧/٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ١٣٨/٣.

(٣) المصباح المنير، ٢٦٨/١.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[١]. وقال ابن القيم: (هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوىٰ الطبيعية عنها)[٢].

وقد وردت الاستعاذة من شر السحر في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[٣]. أي: من شر السواحر تنفث في العقد التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق)[٤]. ولقد ذكر سبب نزول سورة الفلق عدة روايات كلها تدور حول حدث واحد وهو ما حدث للنبي ﷺ من سحر قالت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبت به اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه فأعطاها فسحروه فيها وتولىٰ ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود كما روى عن عائشة رض الله عنها قالت سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله يخيل له انه يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أي شي قال في مشط ومشاطه وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا

---

(١) سورة طه: من الآية ٦٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، ١٥٢/٤.

(٣) سورة الفلق: من الآية ٤.

(٤) تفسير الجلالين، ٨٢٧/١.

استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت)[١].

وروىٰ أنه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة، فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه[٢].

وذكر الواحدي (ت٤٦٨هـ): (إن السواحر تنفث في العقد كأنها تنفخ فيها بشيء تقرؤه)[٣] وهذا ما أشار إليه السمرقندي أيضاً (إنهن الساحرات المؤاخذات المهيجات اللواتي ينفثن في العقد)[٤]. قال أبو عبيدة: (بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ)[٥].

المطلب السابع:

شر الوسواس

إن من أنواع الشرور التي أمر الله سبحانه وتعالىٰ عباده الاستعاذة منها:

هو شر الوسواس فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[٧]. ولقد بين العلماء معنىٰ الوسواس في أقوال عديدة لا تختلف بعضها عن بعض، فمنهم من قال: (الوسواس مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي)[٨].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، ٢١٧٤/٥، رقم الحديث ٥٤٣٠.

(٢) ينظر: أسباب التنزيل، للإمام أبي الحسن علي بن احمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق : كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م، ٥٠٢ – ٥٠٣. تفسير البغوي،٥٤٣/٤.

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٢٤٢/٢.

(٤) بحر العلوم، ٦١٠/٣.

(٥) تفسير البغوي، ٥٤٧/٤.

(٦) سورة الناس: من الآيات ١–٦.

(٧) سورة الجن: من الآية١٠.

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل، ٢٢٧/٤.

ومنهم من قال: (الوسواس صوت الحلي وقد وسوس وسوسة ووسواسها بالكسر الوسوسة والوسواس حديث النفس)[١]. ومنهم من قال: (الوسواس هو الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس)[٢]. وإلى هذا ذهب كثير من العلماء.

إن محل الوسوسة في القلب وهذا ما ذكره العلماء بقولهم: (انه الشيطان وان له رأساً كرأس الحية يحتم على القلب فإذا ذكر الله العبد تنحى وخنس وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس)[٣].

على هذا فالموسوس هو الشيطان. والشيطان هو كما قال ابن فارس: (شطن الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد... وأما الشيطان، فقال قوم: هو من هذا الباب والنون فيه أصليه قسىٰ بذلك لبعده من الحق وتمرده، وذلك ان كل متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان)[٤].

وقيل فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: انه شبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين، لأنها موصوفة بالقبح.

الثاني: إن العرب تسمي بعض الحيات شيطاناً وهو ذو عرف قبيح.

الثالث: قيل: إنه نبت قبيح يسمىٰ رؤوس الشياطين.

والشيطان لا يرىٰ ولكنه يستشعر انه أقبح ما يكون من الأشياء ولو رؤي لرؤي في أقبح صور[٥]. قال جرير:

أزمان يدعونني الشيطان من غربي ** وكن يهوينني اذ كنت شيطانا[٦]

---

(١) لسان العرب، ٢٤٥/٦. فتح القدير، ٥٢٢/٥.

(٢) تهذيب اللغة، ٩٢/١٣. لسان العرب، ٢٥٥/٦.

(٣) تهذيب اللغة، ٩٢/١٣. والمحكم والمحيط الأعظم، ٧٩/٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ١٨٣/٣.

(٥) ينظر: لسام العرب، لان منظور، ٢٣٨/١٣، مادة شطن.

(٦) ديوان جرير، ٦٦٢/١، رقم البيت ٥٦.

وروي في الحديث (الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم)[١]. تمثيل وتصوير وله نسل وذرية صار له ذلك بعدما مسخ لإنظاره الى قيام الساعة ودليل كون الشيطان أجساماَ كائنة[٢]. قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[٣]. فالوسواس هو الشيطان والخناس هو الذي يخنس في القلب فهو جاثم على قلب الإنسان فإذا ذكر الله تنحى وخنس وإذا غفل النقم قلبه فحدثه ومناه[٤].

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٥٧/٣، رقم الحديث ١٢٦١٣. الأدب المفرد، باب الظن، ٤٣٨/١، رقم الحديث ١٢٨٨. صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، ٧١٧/٢، رقم الحديث ١٩٣٣.

(٢) ينظر: الكليات، ٥٤٠/١.

(٣) سورة الأعراف: من الآية ١٢.

(٤) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١٢٤٣/٢. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ٢٧٨/٩-٢٧٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي أنزل على عبده ورسوله آيات بينات ليخرج الناس من الظلمات ويهديهم إلى طريق الخيرات والسعادات والفوز بالجنات ويبعدهم عن طريق الشر والفواحش والسيئات ليصرف عنهم عذاب جهنم. وأصلي وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب المعجزات من ختم الله برسالته والمعاملات.

ومن خلال إعدادي لهذا البحث الذي اهتم بدراسة جزئية من جزئيات كتاب الله الخالد القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والموسوم (آيات الشر في القرآن الكريم دراسة موضوعية) تبين لي بعد أن يسر الله تعالىٰ إليَّ الإطلاع على مصادر البحث ودراسة ما تطرق إليه الكثير من العلماء والمفسرين واللغوين والمحدثين الذين تناولوا هذا الموضوع وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها وأجملها في النقاط الآتية:

أولاً: لا يمكن لأي إنسان ان يخرج عن القاعدة في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1]. أيّاً كان ومهما فعل فهذا مصير كل إنسان والكائنات الأخرى فما أصابنا من خير فمن الله تعالىٰ: وما أصابنا من شر فمن أنفسنا والشيطان.

ثانياً: للخير حقيقة وللشر حقيقة ولكل منها شيء قائم بنفسه، والإنسان هو مخير بين الطريقتين، اما إلى طريق الخير وأما إلى طريق الشر، وطريق الخير هو طريق الله وطريق الشر هو طريق الشيطان، ولكن القول أن الخير هي ما زاد نفعه على ضره وان الشر ما زاد ضره على نفعه، وإن خير الإنس فيه هو الجنة وشراً لا خير فيه هو النار.

(١) سورة التوبة: من الآية ٥١.

ثالثاً: إن الشر هو كل عمل يخرج صاحبه عن إطار الشريعة، فالضرر بالآخرين هو نوع من أنواع الشر، وفعل السوء أيضاً من أنواع الشر، والعمل القبيح، والعمل ما أمر به قيام: ما نهىٰ عنه.

رابعاً: من المعلوم أن بداية الشر كانت بعد ان عصىٰ إبليس ربه وامتنع عن السجود لآدم(عليه السلام) تكبراً حيث أجاب إبليس بعد أن قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ... وقال لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[1]. ومنذ ذلك الوقت إبليس اشد عداوة للإنسان فحري بالمؤمن ان يجعل الشيطان نصب عينيه خشية ان يقع بما يزينه لهُ من إغواء ومعاصي وذنوب ومهالك إلى غير ذلك.

خامساً: ان للشرور أنواع كثيرة وعلى المرء ان يكون على علم ليتقيها ويبتعد عنها فمنها ما يدرك بالحواس ومنها ما لا يدرك بالحواس ومنها ما هو مغيب عن ونبيهنا كما يأتي:

(١) شرور المحسوسات: مثل (شر الخلق، شر الغاسق، شر الكفار، شر القتال، شر الفتن، شر المكان).

(٢) شرور غير المحسوسات: مثل (شر السحر، وشر الحسد، وشر الوسواس (الشيطان) سواء كانوا شياطين الإنس أم الجن).

(٣) شرور المغيبات عنا: مثل (شر يوم القيامة وشر النار).

هذه هي أهم النتائج التي استخلصتها من البحث متوخي الاختصار وعدم الإطالة فان أصبت فمن الله وله الحمد والشكر والمنة وان أخطأت فمن نفسي ومن

(١) سورة ص: من الآيات ٧٥، ٨٥.

الشيطان استغفر الله منه. وأسأل الله تعالى أن يعفو عن زللي ويغفر لي خطيئتي وأن يسعفني بهذا الجهد المتواضع يوم فقري وحاجتي وحسبنا الله ونعم الوكيل.

اللهم انا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣- أساس البلاغة، القاسم محمد بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤- أسباب التنزيل، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٦٩١هـ)، دار الفكر، بيروت.

٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير.

٧- بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبوالليث السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: د. حمود مطرحي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض وشارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي ود.أحمد نجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٠م.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

١٠- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، (ت ٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٢- تفسير البغوي، ابن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت.

١٣- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١.

١٤- تفسير القرآن الحكيم، سيد محمد رشيد رضا، المشهور بتفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط٢.

١٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٦- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٧- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٨- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٩- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ت هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٠- التوقيف المهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت هـ)، تحقيق: د.محمد رضوان الدابة، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المعروف بتفسير السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٣- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ.

٢٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٧٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٥- جلاء الإفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الارناؤوط عبد القادر الارناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٦- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد النكري، تحقيق: عرب عباراته الفارسية، حسن هاني فحص، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٧- ديوان جرير رقم البيت ٥٦، بيروت، دار الهداية.
٢٨- روح المعاني في تفسير القرين العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت ١٢١٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤١٤هـ.
٢٩- زاد المسير في عالم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمود الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
٣٠- زاد المعتاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الارناؤوط، عبد القادر الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٣١- زهرة التفاسير، محمد أحمد مصطفى، أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، دار الفكر، بيروت.
٣٢- سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٣٣- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣١٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري.
٣٤- صحيح البخاري، دار الفكر الإسلامي، ط١.
٣٥- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، الشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية.
٣٦- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق، د.مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.

٣٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.
٣٨- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.
٣٩- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي اللغوي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٠- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل.
٤١- القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق بن مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى احسيني الكوفي (ت هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
٤٤- لسان العرب، لابن منظور، طبعة جديدة ومحققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة، الناشر، دار المعارف.

٤٥- مجموع الفتاوى (كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)، لأبي العباس أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة بن تيمية، ط٢.

٤٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت هـ)، تحقيق: عبد السلام بن عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٧- المحكم المحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٨- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن القادرالرازي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الرسالة – الكويت.

٤٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي (ت ٧١٠هـ)، بيروت، ط١.

٥٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، (ت ١١٤هـ)، تحقيق: جمال عبداني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥١- المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع.

٥٢- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي،البصري الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٥٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، القاهرة، مؤسسة قرطبة.

٥٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٥٥- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٥٦- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تحقيق :د.عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٧- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: دار الدعوة، مجمع اللغة العربية.

٥٨- معجم مقاييس اللغة مادة (شر)، أبي الحسين أحمد بن فارس ين زكريا (ت ٣٩٥هـ): عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٩- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٠- المفردات في غريب القرآن.

٦١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٢- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، على بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، بيروت، ١٤١٥هـ.